لواء الحمد
مجلة علمية نصف سنوية تعني بالمعارف الإسلامية
السنة الثالثة ـ العدد الخامس (رجب ـ ذى الحجّة ١٤٤٣)

كلمة التحرير

بسم الله الرحمن الرحيم

١- غالباً ما تطرح البحوث الخاصة بالنبوة بطريقتين: طريقة احتجاجية، و طريقة إيضاحية. ولدىٰ الطريقة الاحتجاجية ننظر إلىٰ المخاطبين علىٰ أنهم منكرون للنبوة، فنتعامل وأياهم كمخالفين.. وفي هذه الطريقة تشكل مجموعة بحوث مطلع الكلام وهيكليته، مثل بحوث إثبات النبوة العامة؛ وضرورتها والردّ علىٰ شبهات الملحدين بها.. وبعد ذلك؛ يجري الحديث عن شؤون النبوة، وأهداف الأنبياء، ومعجزاتهم و.. ثم يكون البحث في النبوة الخاصة، ومعرفة رسول الله محمد ﷺ، وسيرة وفضائل ومناقب ومعجزات المصطفىٰ المختار، لاسيما القرآن المجيد.

وفي هذه الطريقة؛ وبداعي الأجواء و حاجة المخاطبين التي عرّفناها لهم؛ تكون وجهة الكلام والتأليف العامة ـ لاسيما في البحوث الابتدائية ـ اقناع و إسكات المخاطب الذي ينكر أصل الحاجة إلىٰ النبوة أو نبوة خاتم الانبياء.. وفي هذا الإطار؛ نجد المسلمين المؤمنين بنبوة خاتم الأنبياء، وكذا نجد أهل الكتاب المؤمنين بالأنبياء السابقين، يضعون عقيدتهم جانباً، ويتعاملون مع البحث تعاملاً فردياً منكراً.. وفي هذه الشاكلة من البيان تطرأ أنواع النزاع والجدل الفكري الخاصّ بها.

٢- أما في الطريقة الإيضاحية؛ ننظر إلىٰ الواقع الموجود، حيث يكون غالب مخاطبينا يمتازون بالإيمان القاطع والكامل بنبوة جميع الأنبياء والنبي الخاتم؛ بل و بإمامة أوصيائه بالحق.. ولعل هؤلاء؛ لا يجدون؛ أو لا يستطيعون إلادلاء بالبرهان والدليل المنطقي ـ كما هو منحى أهل العلم والاصطلاح؛ قديماً وحديثاً ـ إلّا أن نورانية كل حكمة من حِكم الانبياء والأئمة المتجذرة في نفوسهم و دواخلهم قد وجدوها متّسقة ومباني فطرتهم، فيعدّونها

[Downloaded from lava-al-hamd.ir on 2025-07-02]

دليـلاً مقبـولاً علىٰ صدق مدعـي أولئك الحجـج الإلهيّين..

وإنـه ليراعـىٰ في هذه الطريقة ويلاحظ أنه عبرآلاف السـنين من الأطوار التاريخية للبشـر؛ قـد جاء أفـراد وادّعوا النبوة؛ وفتحـوا على الناس نوافـذ الخيروالرحمة والهدايـة.. فكانوا محطّ احتـرام وتقديـروإجـلال حكمـاء كل حقبـة فى الحقـب الزمانية، بغـضّ النظرعـن أن يكون هـؤلاء الحكماء قد اسـتوعبوا وأقروا بنبوة هـؤلاء الأنبياء أم لا..

٣- بالنظرإلىٰ هذه الواقعية؛ نجد الكلام ـ في الطريقة الإيضاحية ـ يبدأ من أنه:

ـ لماذا بُعث الأنبياء؟

ـ كيف كان أسلوب دعوة الأنبياء وإبلاغهم؟

ـ كيف كانت سيرة الأنبياء في حياتهم الخاصّة، لاسيما فى ما يرتبط بالدعوة والتبليغ؟

فـي هـذه الطريقـة؛ يتمّ اعتمـاد الآيـات والروايـات، وعلىٰ الأقـل من حيـث أنّ حجج الله تعالـىٰ قـد أدلّوا بهـا علىٰ أنهـا كلام مُنـزل من قِبـل الله سـبحانه؛ وعرضوها علـى الناس.

وعلـى هـذا الأسـاس؛ لـم ولا تتـم مصـادرة الآراء، إذ الهـدف الأصلـي فـي هـذه الطريقة تكريـس العقائد لا إثباتهـا، فكان أمر«احياء الحقائـق الفطرية» بدلاً من «إثبـات النبوة بمعونة التفكيـرأو الفكرة البشـرية»...

إن المهمة والمسؤولية الأصلية فـي هذه الطريقة قد حمّلت علىٰ عاتـق الأهداف التربوية والأخلاقيـة والتحذيريـة، دون عمليات التحقيق الأكاديمي والتحقيق البشـري الجاف الذي لا ولم يحقـق النتائج المرجوّة..

ولقـد نُفخـت روح التنبيـه والتذكيـرفي جميـع الأقـوال والمدونـات... حَتىٰ اَننـا لنعتبر نبـوة النبـيّ امـراً مسـلّماً وحقـاً واضحة بالنسـبة لنا بحيـث نقبلهـا بأعماقنا و نصـرخ بها من دواخلنـا.. ولا نكتفـي بهـا بمجـرد لقلقة لسـان أو بمـا تمليه علينـا الأقاويـل الأكاديمية..

٤- فـي باب النبـوة؛ وبالطريقتين قد وردت مطالـب مقولة ومكتوبة و مُدَرّسـة.. وكل واحد مـن المفكريـن والعلمـاء، ونظراً لطبيعة مخاطبيه وللمسـائل مـورد الحاجة والابتـلاء قد أدلىٰ بدلـوه.. فـكان أجـره محفوظاً عنـد صاحب الشـريعة.. ولكنّ الـكلام في مدىٰ إيـلاء الأهمية لتحديـد طبيعـة المخاطَب، باعتبـار ذلك مقدمة واجبـة في جميع البحـوث؛ وإن تمّ ذلك؛ فمـا دور الواقعية في هـذا الأمر؟

[Downloaded from lava-al-hamd.ir on 2025-07-02]

فنقـول: إذا عُمـل لدىٰ المواجهـة بالطريقة الأولىٰ مـع المجتمع الذي يدعـي غالب أفراده ـ بالقـول علـىٰ الأقـل ـ الايمـان بالنبوة، كان العمـل كهواء في شـبك، حيث تـمّ تجاهل فطرة المخاطبيـن أولاً، مضافـاً إلـىٰ أننا لم نحقّـق تطوراً ملموسـاً و مطلوباً لدىٰ العمـل وفق الطريقة الأولىٰ..

٥- إنّ نظـرة الـىٰ السـيرة التبليغيـة لـدىٰ الأنبيـاء، وبالأخص لـدىٰ النبـي الخاتم ﷺ.. تشـير إلـىٰ أن هؤلاء الرجال الالهيين العظـام كانوا لدىٰ مواجهتهم مجتمعات بشـرية، لا يؤمن اكثـر افرادهـا بالنبـوة، قد اتخـذوا فـي أداء مهمتهم اسـلوباً فطرياً، أي أسـلوباً يخاطـب الفطرة الإنسـانية.. أما سـعيهم في الاسـتدلال الفكري المحض أو في إتباعهـم بالمعجزات، فهذا ما كان خاصّـاً حيـن مواجهتهم أفـرادا لا يتقنون سـوىٰ العناد والجـدال العقيم..

٦- وعلـىٰ أي حال؛ فإن أسـاس ومبنىٰ دعـوات الأنبيـاء كان (البصيـرة): (قُلْ هَـٰذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي) [يوسـف/١٠٨]. والبصيـرة هـي النظـرة والرؤيـة الإلهية التـي يخطـىٰ الإنسـان بواسـطته بـ(الفرقـان): (إِن تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا) [الأنفـال/٢٩]، أي: المعرفـة الباطنيـة التـي تُعين الإنسـان و تمنحـه القدرة علـىٰ القول بالتفـاوت بين الحق والباطـل فـي مختلف شـؤون الحياة..

وهـذه البصيرة والفرقـان يزوّد بها الأنبياء الناس علىٰ أسـاس العلم الالهـي الموهوب، وقد ورد فـي وصـف الأنبيـاء: (أوتـوا العلم) أي أنهم قـد أُعطوا العلـم، لا علىٰ المبنى البشـري كما يتعلّـم أفراد الانسـان من قبل المعلّـم، أو طرق أبواب المـدارس ودور العلم..

٧- إن هـذا العلـم المعطـىٰ والموهوب؛ عبارة عن هدايـة إلهية تمنح للنـاس، ثم يطالبون بعـد ذلـك بالإيمـان.. وكلّ مـن لا يلمع هـذا الإيمـان المطلـوب من وفـي داخله؛ يكـون غير مهتـدٍ، ولا يدخـل دائرة الإيمـان والمهتديـن، إذ لم تثمر فيـه جهود الأنبياء ومسـاعيهم..

(إِنَّمَا أَنتَ مُنذِرُ مَن يَخْشَاهَا) [النازعات/٤٥].

(إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ اتَّبَعَ الذِّكْرَ وَخَشِيَ الرَّحْمَٰنَ بِالْغَيْبِ) [يس/١١].

(وَمَا أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِي الْقُبُورِ) [فاطر/٢٢].

أما المتجاوب مع نداء الفطرة والعقل، فإن الله تعالىٰ يضاعف الهداية..

(وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ) [محمد ﷺ/١٧].

[Downloaded from lava-al-hamd.ir on 2025-07-02]

وهكـذا؛ كان القـرآن الحكيـم الـذي هـو كتـاب هدايـة؛ سـبباً لهداية أهـل التقـوىٰ؛ أي: القابلـون والمسـتوعبون للهدايـة الأوّليـة:

(أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ) [ص/٢٨].

وكذلـك كانـت للنبـوة علاقة وطيـدة وغيرقابلـة للانفكاك عـن العبودية. و هـذه الحقيقة هـي أصرح ما ذكـره القرآن الحكيـم، إذ كانت أولىٰ بنود دعـوة الأنبياء هي الدعـوة إلىٰ عبودية الله الواحـد الأحـد.. ومـا يلزمها فى البـراءة من جميع مـا يُعبد من دونه سـبحانه.

(وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ) [النحل/٣٦].

٩- فـي هـذه الطريقـة، يمكن الاسـتيقان بأنـه من أجـل مواصلة دعـوة الأنبيـاء، لابد من الإيمـان بأصـل (الإيصـاء والإسـتخلاف) كأصـل لا يسـع كلّ عاقـل حـرٍّمنصـف أن يتصـور عدمـه.. والاوصيـاء كمـا الأنبياء حجـج الله بالحـق و بتلـك الخصائص والشـؤون. وكذا هي مسـؤوليات النـاس ووظائفهـم تجاه هذيـن الفريقيـن من الحجـج الإلهييـن ـ حيث وجوب الايمـان بهـم والالتـزام بتعاليمهم ـ علىٰ السـواء.. ولـذا؛ فقـد كان الترابط بين النبـوة والإمامة ـ باعتبـاره أصـلاً مقبولاً من العقـل ـ ترابطاً واضحاً جليـاً ثابتاً أبدياً تصرخ بـه النصوص الدينية علـى المدىٰ..

إذن؛ فالنبـوة عبـارة عـن وجه لميثـاق هدايـة الموهبة الإلهيـة.. ومن هذا الوجـه يُرىٰ كل جمـال هـذا الميثاق.. يُـرىٰ بعين القلـب، وفيه نـرىٰ عمق اعمـاق الحقيقة...

١٠- ولكـي نعرف النبـوة بهذه الطريقة.. لابـدّ ـ بدءاً ـ من أن نعرفها بكل وجودنا و نتمسـك بهـا.. وهـذا الهـدف لا يتحقّـق إلا بالإيمان الكامـل بمولانا خاتـم الأوصياء ـ عجـل الله فرجه ـ الـذي سـيحقّق أهـداف جدّه الاكبـر مولانا خاتـم الأنبياء.. ويفعّـل أصل العبوديـة لله بصورته التامّة في جميع أرجاء الوجود.. وهوالذي من دونه ستكون نبوة الانبياء بتراء..

قال إمامنا ابومحمد الحسن العسكري عليه السلام:

«أَمَـا إِنَّ الْمُقِـرَّ بِالْأَئِمَّةِ بَعْدَ رَسُـولِ اللهِ الْمُنْكِـرَ لِوَلَدِي كَمَنْ أَقَـرَّ بِجَمِيعِ أَنْبِيَاءِ اللهِ وَ رُسُـلِهِ ثُمَّ أَنْكَـرَ نُبُـوَّةَ مُحَمَّدٍ رَسُـولِ اللهِ صلى الله عليه وآله وَ الْمُنْكِرُ لِرَسُـولِ اللهِ صلى الله عليه وآله كَمَنْ أَنْكَـرَ جَمِيعَ الْأَنْبِيَـاءِ لِأَنَّ طَاعَةَ آخِرِنَـا كَطَاعَـةِ أَوَّلِنَا وَ الْمُنْكِرَ لِآخِرِنَـا كَالْمُنْكِرِ لِأَوَّلِنَا» (بحارالانـوار، ج٥١، ص ١٦٠).

[Downloaded from lava-al-hamd.ir on 2025-07-02]